الجزء

لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين
وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة
النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين
في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على
الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على
حيوة ومن الذين أشركوا ولعمري إنهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى
وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء وعبادا
وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه
دليل بين على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى
علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب
والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني ووصفهم الله تعالى برقة القلوب
وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي أنه
قال لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين اجتمع في مجلسه المهاجرون
إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم
عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر رضي الله عنه فيه سورة
تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة
طه إلى قوله وهل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل
قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا
حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فإن
قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة
على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات
وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات
وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى
بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب
فإن قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ من
الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع
ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء
وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم
بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل
البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فإن قلت أي فرق بين من ومن
في قوله مما عرفوا من الحق قلت الأولى لابتداء الغاية على أن
فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه
والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على

لكبر

الحلم

١٦٧

بلغ

أنهم عرفوا الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرؤوا القرآن
وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به
إنشاء الإيمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد عليه السلام
الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس
وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك
أصحاب الجحيم وما لنا لا نؤمن بالله إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان
مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين
وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك وأرادوا
وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان
بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك
قائما والواو في ونطمع واو الحال فإن قلت ما العامل في الحال الأولى
والثانية قلت العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه
قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل
ولكن مقيدا بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع
لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا
على أنفسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا
الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام
لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين فأثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا
قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين طيبات
ما أحل الله لكم ما طاب ولذ منه من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم
كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم
على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا
يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم
والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا
المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم إني لم آمر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا
فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر
وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت

Copyright © King Saud University